تصدر عن مبادرة
لأبعد مدى
هندسة التحرير:
ياسين أحمد سعيد

ومضات

أدب رحلات

العدد 36- يونيو 2020 م

في الإسكندرية على خطى (ملكوت)
ياسمين سامي

عن (رحلة ابن بطوطة)
وسام الدين محمد عبده

الموريسكي الأخير
صبحي موسى

جبل الرعب
حسان الحديثي

تصميم الغلاف: أسماء أيمن

📖 **ومضات**: دورية غير منتظمة، تصدر عن مبادرة (لأبعد مدى)، يتخصص كل عدد منها في أحد المجالات الآتية (الفانتازيا، الخيال العلمي، الرعب). وأحيانًا (الدراما النفسية، أدب الرحلات، الشأن الثقافي، إلخ).

🛠 هندسة التحرير 🛠

ياسين أحمد سعيد

🖱 إخراج الغلاف 🖱

أسماء أيمن

✓ تصحيح لغوي ✓

هند الشناوي

💻 للتواصل 💻

lab3admda@gmail.com

http://lab3ad

facebook.com/lab3d.madaa

https://t.me/LAB3AD

https://twitter.com/lab3ad

❑❑❑❑❑

المحتويات

◄ الموريسكي الأخير:

صبحي موسى 6

◄ قارئ + كتاب:

في الإسكندرية على خطى (ملكوت)

ياسمين سامي 18

◄ فوة.. مدينة المساجد:

أحمد كفافي 20

◄ الرحلات، على حد تعبيرهم:

هند جعفر + هاني محمود 42

◄ جبل الرعب:

حسان الحديثي 50

◄ رحلة ابن بطوطة:

وسام الدين محمد عبده 71

❑❑❑❑❑

الموريسكي الأخيـر

صبحي موسى

كلما بدأت في كتابة رواية تذكرت عنوان العمل الخالد للراحل الكبير (جمال حمدان) (شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان)، موقنًا أن المكان ليس مجرد مسرح تدور عليه الأحداث، لكنه القالب الذي يطبع الشخوص وفقًا لمقاسه ونتوءاته.

ومن ثم فلا يمكن أن ينفصل الشخص عن المكان الذي نشأ فيه، حتى أن ملامح الناس تدل على أماكنهم، فالذين يعيشون بين الجبال يتمتعون بأجساد خفيفة وملامح منحوتة وشكيمة قوية، والذين يعيشون في الصحراء يتمتعون بأقدام عريضة وأجساد وافية وحذر دائم، أما المقيمون على الساحل حيث يلتقون بالكثير من المسافرين

يتمتعون بنوع من خفة الظل والقدرة على جذب الانتباه، أما القرويون فيتمتعون ببشرة سمراء وعزيمة واضحة وحرص في الإنفاق.

هكذا يطبع المكان شخوصه، فيصنعهم حسب ظروفه وتاريخه وملامحه الجغرافية، ومن ثم فلا يمكن للروائي أن يغفل عنصر المكان في عمله، ولا يمكنه أن يتعامل معه بوصفه وسيطًا حياديًا، أي مجرد مسرح تجري عليه الأحداث، لأنه شريك أساس في صناعة أبطال العمل، وكثيرًا ما يفرض نفسه على الأحداث، ويلزم الكاتب بتغيير مسارات أفكاره بما يتوافق مع طبيعة المكان وقدراته، ولا أعتقد أن كاتبًا يمكنه أن يكتب عن مكان لم يستطع تخيله، بمعنى أنه لم يتأمله ويتخيل تأثيره على

شخوصه وأفكارهم ونفسياتهم.

هكذا أتعامل مع المكان في أعمالي، لكن العمل الذي احتاجني أن أستخرج جواز سفر للخروج من مصر لأجله كان رواية (الموريسكي الأخير)، فقد كانت لديَّ مشكلة رئيسية، وهي أنني لا أعرف موريسكيين، لم ألتقِ بموريسكيين من قبل، فكيف يمكنني أن أرسم ملامحهم؟ كيف يمكنني أن أتنبأ بطريقة تفكيرهم؟ وأتوقع ما يمكنهم أن يقدموا عليه؟

كانت هذه هي الأسئلة التي تلاحقني بعدما وافق الصندوق العربي للثقافة والفنون (آفاق) على إعطائي منحة لكتابة الرواية، وكنت قد تقدمت بفكرتها إليهم فور قراءتي لإعلانهم عن منح جديدة

لكتابة أعمال روائية، وكان لابد أن أختار بين أمرين، إما زيارة الأماكن القديمة للموريسكيين في الأندلس، أو زيارة الأماكن التي انتقل إليها الموريسكيون في المغرب، ومازال أحفادهم يعيشون هناك، حيث يمكنني أن ألتقي بهم، وأتعرف من ملامحهم على الإشكالية التي عانوا منها طيلة تاريخهم، إشكالية التشكيك في ماهيتهم الثقافية أو الدينية.

بالنسبة لي كان الذهاب إلى المغرب أهم من الذهاب إلى الأندلس، رغم أن كلاهما مهم وضروري، لكن لأمور عديدة تم تفضيل المغرب على الأندلس، من بينها عامل اللغة، وتوافر الأصدقاء، وبساطة التكاليف، فضلًا عن وجود مؤتمر بمدينة طنجة

بعنوان (في أعقاب الموريسكيين).

لم أكن أتوقع أن ما شرعت في كتابته سيتحقق على أرض الواقع، فقد رسمت الشخصية الرئيسية لديَّ، وهي (مراد الموريسكي) على نحو يتماثل مع شخصية حقيقية من لحم ودم، شخصية قابلتها في إحدى المدن المغربية.

المدهش أن هذه الشخصية كانت موريسكية، الأكثر إدهاشًا أن أصدقائي الذين ساعدوني في الذهاب إلى المغرب اكتشفت هناك فقط، أنهم موريسكيون! فقد نزلت مدينة طنجة، وبدأت أتحرك منها إلى شفشاون وتطوان والعرائش ومربيل وأصيلة وجبل موسى، ووقفت على مضيق جبل طارق وأمام سبتة ومليلة، والتقطت آلاف الصور

وتعرفت العديد من الشخصيات، ما بين كتاب وفنانين وشخوص عادية، واستمعت إلى سائقي التاكسي وبائعي الملابس وسرت في الحارات والأزقة القديمة، وتطلعت إلى اللون الأزرق الذي يكسو كل الجدران القديمة، والموزاييك المرصع على الحوائط.

تطلعت إلى الأبواب القديمة، والمباني الهرمة، والأضرحة التي يأمها آلاف البشر، ولم أعرف أن أصدقائي موريسكيين إلا حينما أخبرني أحدهم أنه ذاهب لزيارة أهله في تطوان، وكنت أعلم أن تطوان مدينة الموريسكيين منذ أنشأها (أبو علي المنظري) قبل سقوط غرناطة بسنوات قليلة، فسألته إن كان موريسكيًا أم لا، فأجابني بأنه

موريسكي، وعلمت أن زوجته موريسكية، وأن بقية أصدقائي الذين استضافوني من عائلات شفشاونية أو تطوانية، وعلمت أن أغلبه لديه جواز سفر إسباني، وأنهم يدخولون ويخرجون من سبتة بجوازهم الإسباني، فأخذت في رسم أبعاد روايتي، حيث مؤتمر الموريسكيين، وحيث المطالبة بعودة الموريسكيين وحقوقهم في الأندلس.

في وسط كل هذا الزحام عثرت على شخصية (مراد الموريسكي)، وهو الشخصية البطل لديَّ في النص، لم أكن أريد منه أكثر من ملامحه، ونظراته، ومدى إقباله على الحياة وانعزاله لخوفه منها، ظللت أرقب حركاته وطريقة نطقه، باحثًا عن شجاعته وجبنه، إقدامه وتراجعه، ثم انتقلت إلى النقطة الأهم، وهي

موقفه من المسألة الدينية ككل، كنت قد بنيت تصورًا مسبقًا عن الموريسكيين أنهم كرهوا اللعبة الدينية ككل، فقد اتهمهم الذين في الشمال (الإسبان) بأنهم مسلمون يتخفون في ملابس نصارى، بينما اتهمهم الذين في الجنوب (أهل المغرب وتونس والجزائر) حين تم تهجيرهم إليهم بأنهم نصارى في ثياب مسلمين، وعاش الموريسكيون أزمة التشكك الدائم في هويتهم.

كثيرون منهم اضطروا لمغادرة البلاد التي هاجروا إليها إلى أماكن أخرى، كان من بينها مصر التي لم تكن الاختيار الأول لهجرة الموريسكيين؛ لأنها لم تكن قريبة من الأندلس، فنزل الموريسكيون إلى شواطئ المغرب والجزائر وتونس «...» هكذا

تعددت الأماكن في رواية (الموريسكي الأخير)، لكن المكانين الأبرز اللذين صاغا شخصية (مراد الموريسكي) كانا المغرب وأماكنها، ثم القاهرة بميدانها الشهير في التحرير.

شكلت المغرب سؤال التشكك في الهوية، والشعور بعدم الانتماء للمكان، بينما مثل ميدان التحرير وثورته العظيمة اللحظة الفارقة التي أعادت تشكيل (مراد الموريسكي) من الشخص الخائف الضعيف غير المنتمي، إلى الشخص القوي الرافض المصر على موقفه رغم حبه لابنة عمته، ورغم ما يحمله على كتفيه من ثقل حكايات جدته عن الموريسكيين وتاريخهم. ويبدو لي أن المكانين مثَّلا نوعًا من المحاورة بين التاريخ والحاضر، بين الميلاد

القديم والميلاد الجديد، وأن رحلتي إلى المغرب أفادتني أكثر مما لو كنت قد ذهبت لزيارة إسبانيا ومدن الموريسكيين هناك، كغرناطة وإشبيلية وابن الوليد وغيرها، فما سعيت للحديث عنه بالدرجة الأولى ليس ما جرى للموريسكيين في إسبانيا فقط، ولكن ما جرى لهم أيضًا فيما بعد، وكيف تفرقت بهم المصائر، وتشتتوا في البلاد، وعاشوا أزمة هويتهم بكل مخاوفها وآلامها، وأنه لابد من الاعتذار لهم، ومنحهم حق العودة لبلادهم.

فما حدث معهم هو جريمة لا تقل عن إبادة الأرمن والهنود الحمر، ولابد أن يتفض العالم لمنحهم بعضًا من حقوقهم التاريخية، وليثبت العالم لنفسه أن البشرية قطعت شوطًا مهمًا في رقي السلوك

الإنساني، حتى أنها تعتذر عن أخطائها، وليس هناك مثال أوضح في ذلك من الموريسكيين وما جرى لهم، سواء في شمال المتوسط أو جنوبه.

❑❑❑❑❑

قارئ + كتاب

(رحلات ألهمت مؤلفين بكتابة نصوص أدبية)

ألحت على بالنا تلك الفكرة –استعرضنا أحد فصولها عبر الصفحات السابقة– فحاولنا تناولها وبلورتها من خلال عدة أشكال: في البداية.. ظهرت كمشروع سلسلة تدوينات داخل أعداد (ومضات– أدب رحلات)، ثم كمقالات على موقع (لأبعد مدى) الإلكتروني. فيما بعد، جاءت النقلة الأبرز عندما تحولت إلى كتاب مطبوع، صدر عن دار (فانتازيون) للنشر والتوزيع تحت عنوان (من وحي رحلة)، يتحدث من خلاله عدد من

المؤلفين تجاربهم في ذاك الصدد، مثل: (أحمد مجدي همام، أسامة علام، سامح فايز، مصطفى الشيمي، وغيرهم).

قررنا –منذ مدة– البدء في سلسلة مقالات تتطرق إلى فكرة مقاربة، حيث سيكتبها قراء هذه المرة، قراء سافروا إلى أماكن دارت فيها أحداث رواية طالعوها من قبل، أو أولئك الذي انتقلوا من مكان إلى آخر بصحبة عمل أدبي، فامتزجت ذكرياتهم الشخصية هناك بانطباعاتهم مع الكتاب. من يدري، ربما يتحول هذا المشروع –بدوره– إلى كتاب مطبوع يومًا.

خير ما نستهل به هذه السلسلة، تدوينة للصديقة العزيزة (ياسمين سامي).

في الإسكندرية على خطى (ملكوت)

ياسمين سامي

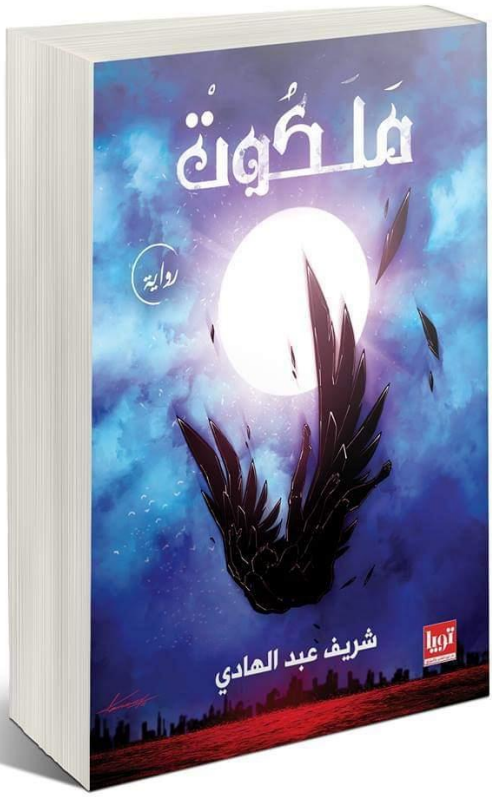

مايو 2016م.. ابتلعت المياه صديقي، حادث أليم استسلمت بعده لهواجس الموت والزهد والحزن، مرة أخرى أبحث عن التداوي بالقراءة، وجدتني ألملم أجنحتي المتكسرة بين ضفتي كتاب. اخترت رواية (ملكوت)، تأليف (شريف عبد الهادي).

تتحدث الرواية عن الملاك المتأمل في أحوال البشر، العاجز عن فهم سلوكهم، الحائر بين سخطه وشفقته عليهم؛ فيأتيه الأمر بالنزول إلى الأرض، ليحيا حياة بشرية لمدة معلومة حتى يحصد بالتجربة إجابات أسئلته.

وبالفعل ينزل الملاك إلى الأرض -بالتحديد الإسكندرية- في صورة شاب لا يتذكر أي شيء عن ماضيه، أو من أين أتى، ليلتقي صدفة ببطلة

الرواية (آيات) الفتاة المسيحية، فيقع كل منهما في حب الآخر. ثم تستمر الأحداث ويتقابل الشاب مع باقي الشخصيات تباعًا، ليخوض من خلالهم رحلة في الأديان الثلاث (اليهودية/ المسيحية/ الإسلام) ويختبر الضعف الإنساني بمميزاته وعيوبه.

- سنصنع يومًا استثنائيًا يُباهي به الله ملائكته ومن يأتي بعدنا من البشر.

بهذه الكلمات وخلال أحداث الرواية اتفقت آيات مع حبيبها على قضاء يوم مميز يعوضان به ما نالهما من ألم، كنت أقرأ عن رحلتهما السعيدة حين لمعت في ذهني فكرة، وقتها كنت أستعد للسفر مع أخي إلى الإسكندرية لحضور حفل الموسيقار (عمر

خـيرت)، ففكـرت: لِمَ لا أحيـا نفـس يـوم أبطـال الرواية (آيات والملاك) وأقتنص السعادتين، تخيُـل الأحـــداث عـــلى أرض الواقـــع، والاســـتمتاع باستكشاف أماكن جديدة؟

صحيح أنه في حقيقتي لا وجود لملاك لكني عزمت على الذهاب لـبعض الأمـاكن وحـدي، والـبعض الآخر مع أناس أحبهم. خاطبت أخي:

– أعـــرف إلى أيـــن ســـأذهب حـــين أســـافر إلى الإسكندرية، هذه المرة لدى برنامج.

أقف على باب غرفته وأشير لما سـجلته في مفكـرتي الصغيرة.

«وحين زحفت الشمس المطعونة بسكين الغروب

تاركة خلفها نزيفًا من الطيف الأحمر في الأفق، وحين بدأت ستائر الليل في النزول تدريجيًا استقللنا مشروعًا».

(المشروع) -الميكروباص في لهجتهم السكندرية وهو اختصار لجملة (مشروع النقل الجماعي)- وسيلة مواصلات الوجهاء قبل البسطاء في الإسكندرية، أفضله عن التاكسي؛ حيث يسمح لي بالاختلاط بالإسكندرانية وسماع لهجتهم المحببة، كما أن توقفه الدائم لالتقاط أو إنزال ركاب يمهلني وقتًا أطول للذوبان في رائحة اليود، وتأمل الكورنيش ومعالم الإسكندرية.

كنت قد شرعت في تنفيذ برنامجي منذ الصباح وبدأت بالبحر باكرًا، فجلست استمع لـ (هبة

طوجي) وهى تغني "يا حبيبي كل ما في الصمت نادى". أحاول أن أستشعر حضور (آيات) و(الملاك) محنة البشر ومنحتهم، شيئًا فشيئًا وافقت على عقد هدنة مع المياه التي -في موضع آخر- محت حبر الحياة من صفحة صديقي.

ثم جاء موعد الإفطار، فاستقللت مشروعًا وانطلقت لمنطقة (كامب شيزار) حيث محطتي القادمة.. محل (ألبان سويسرا).

هناك التقيت بصديقتي وأول ما لفت نظرنا أن المكان كان أصغر بكثير مما تصورنا، لكني تآلفت معه سريعًا، شعرت أنه ينتمي إلى حقبة أصيلة مضت، تحسست بعيني آثارها في المكان في صورة مهملة، في صدأ عجوز، كنت ثملة برحيق الأصالة

الذي يزحف بروية ليستقر في جحور الروح.

طلبت سدق -السجق كما ينطقه الإسكندرانية- بالجبنة كما فضله الكاتب، تكفلت رائحة الخبز الطازج بإشاعة الدفء، وتكفل السدق بتحضير روح محلات بقالة الجريج، بينما تكفلت الجبنة المذابة بإطلاق الضحكات المرحة، كنت أضحك على نفسي مستشعرة إثارة أنني أخوض كل هذا الجنون.

كانت من المرات القليلة التي استمتعت فيها بالطعام بكل حواسي، وبالتأكيد كنت سعيدة. أكملنا نزهتنا أنا وصديقتي، ثم كانت المحطة التالية بصحبة أخي حيث مطعم (هولمز). سألني أخي:

- هل أنتِ متأكدة من العنوان؟

أجبته بأنني متأكدة أنه في شارع سوريا بمنطقة رشدي كما ذكر الكاتب تمامًا، امتعض قائلًا:

- لا أعرف لماذا أسايرك في هذا!

مضينا سيرًا في الشوارع حتى وصلنا حيث العنوان المدون في الرواية، لنكتشف أن المطعم كان هناك بالفعل لكنه نُقل إلى مكان آخر.

هنا كنت أسمع صوت صرير أسنان أخي من الغيظ، فحاولت أن أتدارك الأمر ببحث سريع على الإنترنت حتى توصلت للعنوان الصحيح، وصلنا بعد جهد للمكان وسريعًا وقعت في غرام الطلاء الأحمر، شكل المقاعد، الإضاءة، تلك المساحة تتميز

بحميمية غير عادية، هناك أماكن تشعرني بالأمان.. وكان (هولمز) منها.

توجه الجرسون إلينا ليأخذ طلباتنا، فخاطبه أخي قائلًا:

- من الأفضل أن يكون الطعام مميزًا، فقد تعبنا كثيرًا حتى نصل إليكم، لقد قرأت أختي عنكم في كتاب.

ذهب الجرسون ليحضر مديره بعد قليل، ويسألني:

- هل بالفعل قرأتِ عنا؟

أجبته "نعم في رواية"، فدوَّن المدير اسمها وانصرف سعيدًا .. انتهينا سريعًا من أحلى ساندويتشات برجر أكلناها في حياتنا أو ربما لأنني

كنت أتناولها وأنا متخمة بشعور أبطال (ملكوت)، أحضروا لنا ورقًا فسألني أخي:

- ما هذا؟

أجبته:

– هل ترى كل هذا الورق على الحوائط، ورق في كل مكان، إن المكان يعطيك الحق في كتابة كلمة ومن ثم يعلقونها في المحل إلى الأبد، هنا متحف من كلمات البشر.

شرعنا نقرأ كلمات من سبقونا لزيارة المطعم وضحكنا كثيرًا على تعليقات مميزة كُتبت في الورق، ثم كتبنا أوراقنا وعلقناها كما أردنا وانصرفنا برضا.

جاء دور القهوة في محل (البن البرازيلي) أزعجني

زحامه والدخان الكثيف، لكنني أنهيت قهوتي ممتنة وأنا أراقب شاب يغلف بنفسه هدية لأنثى، ثم لا يلبث أن يشعر بعدم الرضا فيفضها ويعيد تغليفها من جديد.

أخيرًا عدنا لنستعد لحفل الختام وهنا تغيرت الخطة قليلًا فبدلًا الذهاب لتعرف (روستري كافيه)، ذهبت حيث موعدنا مع حفلة (عمر خيرت).

وكأبطال الرواية تحادثت مع نفسي بلغة الموسيقى وتبادلنا الاعترافات والمكاشفات، تجردت من ملبس القوة واغتسلت بعبرات الانفعال. أزالت الموسيقى طبقات الجمود طبقة طبقة، حتى صرت طبقة رقيقة شفافة تفصح عن ما يدور داخلها بكل وضوح، استقيت من الموسيقى الدواء واكتمل

الشفاء.

غادرنا القاعة لكن النغمات لم تغادرني، خرجت من الحفل أشعر أنني أسبح في سحابة فوق الحياة، تمشينا أنا وأخي في طرقات الإسكندرية منتعشين بالنسمة المعتقة.

كنت أتأمل العمارات القديمة والطرقات المبلطة وأتخيل من عاشوا هناك شاعرة بحنين جارف إلى أناس لم أعرفهم، كنت في أرض الخيال حتى هرول ناحيتي الترام- صديقي العجوز- ينبهني زاجرًا (اليوم خلص).

❑❑❑❑❑

فوة.. مدينة المساجد..

أحمد كفافي

رحلة قصيرة إلى مدينة فوة الصغيرة التي تقع على فرع رشيد تتركك بانطباع واحد: هناك العشرات من الأماكن التاريخية في مصر التي مازلنا لا نعرف عنها أي شيء. بالقطع فوة واحدة من تلك الأماكن التي باعتراف عدد كبير من المصريين أنهم لم يسمعوا بها على الإطلاق!

ربما فقط أهالي محافظة كفر الشيخ التي تتبعها المدينة إداريًا، وسكان مدينة رشيد، وربما غيرها من القرى القريبة. لكنك قد تتعجب لو سألت عنها المصري العادي الذي يعتقد أنها تتواجد في بلد غير مصر.

أما عن واقعها فيبشر بمستقبل زاهر لو تم الأهتمام به إهتمامًا حقيقيًا، فمدينة فوة الأثرية –وهي المدينة القديمة– لا تتعدى أن تكون بقعة صغيرة داخل

مركز فوة الرئيسي الـذي لا تتعـدى مسـاحته 106 كيلومتر مربع، لكن من العجيب أنها تحتضن أكثـر من 366 أثرًا إسلاميًا ما بين مساجد وبيوت عربيـة وتكايا وأضرحة وزوايا للصـلاة ومصـانع قديمـة يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشـر والثامن عشر والتاسع عشر .

تشتهر فوة بأنها مدينة المساجد؛ حيث توجـد خطـة تبنتها منظمة اليونسكو لتضع المدينـة كثالـث أهـم مركز للآثـار الإسـلامية في مصـر -بعـد القـاهرة ورشيد- كما أنها رابع أهم مركز للآثـار الإسـلامية في العالم!

تم مؤخرًا الانتهاء من المرحلـة الأولى لترمـيم آثـار فوة بتكلفة ستة ملايين جنيه. كان ذلك أثناء زيارتي

لها لأول مرة منذ عدة سنوات حيث كنت قد سمعت بها مرارًا أثناء زياراتي المتعددة لمدينة رشيد، ولكني لم أعلم أنها بهذا القدر من الزخم التاريخي والأثري والإجتماعي إلا عندما قمت بزيارتها بنفسي.

اتفقت مع عربة أجرة بيضاء صاحبها رجل مسن من أهالي فوة على أن يأخذني في جولة حول آثار المدينة. كنت أظن أن الرحلة لن تستغرق سوى ساعة أو ساعة ونصف على الأكثر، فإذا بها تمتد لأكثر من ثلاث ساعات، لكن على طولها لم تفِ بتغطية كل المزارات، كان هناك بقية لم تسعفني طاقتي على أن أكملها!

وددت لو عدت مرة ثانية لأزور المدينة شبرًا شبرًا،

فكل باب منـزل أو سـاحته تحفـة فنيـة تسـتوقفك وتدعوك للتأمل.

تقع فوة على بعد 98 كيلـو مـتر شرق الإسـكندرية وهناك طريقان للوصول إليهـا: الأول مـن خـلال عربـات الميكروبـاص مـن موقـف فـوة بمحطـة أتوبيسات الإسكندرية. أما الثاني فمن رشيد حيث تعبر النيل إلى البر الثـاني وتسـتقل عربـة أجـرة إلى المدينة.

الحق أن أول ما يلفت انتباهك إلى المدينة هو بشاشة وكرم أهلها وتقـديرهم العميـق لبلـدتهم، فلـديهم اعتقاد راسخ أن وجود تلك المسـاجد والأضرحـة التي بنيت فوق رفات عدد كبير من المتصـوفة كـان له الفضـل في حمـاية المدينـة من غزوات الصليبـين

ومن شرور نابليون بونابرت.

من مساجد فوة أذكر مسجد القرآنية، القنائي، أبا عيسى، الشيخ شعبان، سيدي موسى، النميري، أبا النجا، أبا المكارم، ضائي الدار وغيره. من أشهر المنازل الأثرية منزل البوابين، القماح والدوبي. هذا ما تسجله مصلحة الآثار رسميًا، لكن كلما توغلت في أزقة المدينة وحواريها شاهدت مساجد ضخمة تقبع داخل ممرات ضيقة وأخرى بلا قباب وأضرحة مجهولة الأصحاب وزوايا للصلاة تم إنشاؤها من قبل عابري السبيل!

زرت فوة في أواخر عام 2012م بعد عامين تقريبًا من اندلاع ثورة يناير وعجبت من قدر التفاؤل والسعادة اللذين ارتسما على الوجوه، فهم رغم

المحن التي كانت تمر بها البلاد كانوا على أمل أن الأزمة في طريقها إلى الانفراج طالما هم محاطون بأولياء الله الصالحين .

عدد كبير منهم من حملة الشهادات الجامعية – وسواء هم أو غيرهم من المزارعين والبسطاء– يتحدثون عن مملكة (بوي) وهو اسم فوة في سجلات المصريين القدماء وحديثهم هذا ليس منقطعًا عن الواقع، فعند كورنيش النيل في المدينة يمكنك رؤية (جزيرة الدهب) التي يقول الأهالي إنها ترقد على كم هائل من الآثار الفرعونية يعود إلى زمن مملكة (بوي)، (بوي) كما يقول البعض أحد أبناء النبي يعقوب عليه السلام.

لكن ما هو السر الذي جعل فوة مستقرًا لهذا العدد

الكبير من المتصوفة عبر العصور؟

يقول علماء الآثار أنها كانت تقع في مفترق الطرق التجارية وكانت محطة تجارية هامة؛ مما جذب إليها المتعبدين والنُسك والمتصوفة لأن أغلبهم كان يفضل العمل بالتجارة الحرة على الوظائف بالوكالات وعند أصحاب الأعمال؛ لأن التجارة الحرة لم تكن مشروطة بساعات عمل فكان يمكنهم التعبد في أي وقت يشاؤون.

بالرغم من أن الحملات الصليبية على مصر تركزت في شرق الدلتا، إلا أن الغزاة حاولوا الاقتراب من الغرب عن طريق رشيد فداهموا فوة وعاثوا فيها فسادًا وتخريبًا. أما نابليون ورجاله فقد ضربوا في فوة بينما هم يحاولون الانسحاب إلى الإسكندرية

عام 1799.

تغير الاقتصاد الزراعي في فوة فقفز قفزة سريعة بعد حفر المماليك لما عُرف بـ (خليج الإسكندرية) وهي قناة حملت مياه النيل إلى عروس البحر الأبيض، وتم إحياؤها لاحقًا فعرفت بترعة المحمودية.

حول خليج الإسكندرية مدينة فوة إلى مركز تجاري هام فأصبحت محطة مهمة للعديد من القوافل الآتية من إفريقيا السوداء، فبوقوعها على مفترق طرق سهلت فوة الرحلات التجارية بين القاهرة والإسكندرية لقرون عديدة. فميناء فوة الممتد من مسجد أبي النجا إلى مسجد القنائي كان يسترشد بالأضواء التي علقت على منارات المسجدين

والأسهم التي علقت على أهلتهما لتبين اتجاه الريح.

تحولت طرق التجارة من فوة إلى رشيد بعد أن نال الإهمال من خليج الإسكندرية وظلت على هذا الحال إلى أن جاء محمد علي فأحيا الخليج وأطلق عليه ترعة المحمودية تقربًا للخليفة العثماني محمود، وأدخل عليها صناعات عدة كضرب الأرز وحلج القطن، والأهم من هذه وتلك مصنع الطرابيش الذي اشتهرت به المدينة لسنوات طويلة إلى أن قامت ثورة 1952 فصدر قرار بإغلاقه كرمز من رموز البلاد.

رغم هذا الزخم التاريخي الأثري الهائل وهذه الحقائق المدهشة ما تزال فوة مجهولة ومغيبة عن الخريطة السياحية. لم يسمع بها سوى القليل ممن

هم على شاكلتي من محبي السفر والرحلات.

إحياء فوة وخروجها إلى النور طريق يسير صعب. يسير لأنها تقع داخل منطقة ريفية يسهل الوصول إليها والتجوال داخلها، وصعب لأنها تقع في منطقة بعيدة عن مركز الجذب السياحي ولا يهتم أهلها بدعوة غيرهم إليها.

قد يكون الحال قد تغير قليلًا بعد مضي خمس سنوات لكنني أرى أنها يجب أن تصبح ضمن حزام جذب سياحي يشمل الإسكندرية ورشيد وفوة. التغيرات في رشيد على البر المقابل لها تبقى مدعاة للتفاؤل، فبها فندق سياحي كبير وموتيلات صغيرة ويمكن لزائر رشيد أن يعبر لزيارة فوة خلال يوم واحد، لكن الرجاء كل الرجاء في أن

تعمر بعربات التاكسي- والمطاعم والاستراحات، فهي السهلة الممتنعة، ويجب أن يتوقف الزائر عدة مرات في تجوالها حولها ليلتقط أنفاسه الضائعة.

❑❑❑❑❑

الرحلات

■ على حد تعبيرهم ■

ترجم (صالح علماني) عبارة للمؤلف (ماركيز)، تقول:

ـ الرحلات.. مثل السُلطة، مهيجة للشهوات.

قالت الكاتبة (هند جعفر) أنها لا تذكر أين قرأت هذه العبارة، ولا بقية سياقها، إلا أنها أعجبت بالتشبيه، لدرجة جعلته يعلق في ذهنها، من ثم تساءلت:

ـ ماذا لو أن كاتب مصري هو من يريد وصف الرحلات؟

لم تلبث أن قررت الإجابة بنفسها، عن طريق تقمص طريف لما سيقوله مشاهير الأدب في المحروسة، في حالة أرادوا تعريف نفس الكلمة:

□ نجيب محفوظ:

ـ عرفنا الرحلات عن طريق صديقنا طاهر مكي حين خرج في بعثة لدراسة الطب في ألمانيا، وظل

عبيرها يلوح في الأنفس.

□ خيري شلبي:

ـ ماركيز رجل قصير، لوحته الشمس، ولوعته قصص غرام عديدة، مصه الأفيون، حدثنا يومًا في جلسة رائقة بالمدافن عن الرحلات، فش*ر له صالح هيصة وضحكنا جميعًا.

□ يوسف زيدان:

- الرحلات.. الباهرات المستأنسات مهيجات للشهوات.

□ رضوى عاشور:

ـ الرحلات.. قاتلات الحرية.. المغلفات بالحزن.

□ علاء الأسواني:

- الـرحلات.. شـبيهة بالصـور الخليعـة مهيجـة للشهوات.

❑ صنع اللّه إبراهيم:

ـ عندما قمت بتفريـغ الشـريط الخـامس وجـدت ماركيز يتحـدث عـن الـرحلات، شربـت نصـف زجاجة ويسكي رخيص، لأسـتطيع اسـتيعاب مـا قاله.

❑ بهاء طاهر:

- الرحلات وما أدراك، كانت كالصفعة السرـيعة، لم أدرِ إلا وأنا أتساءل هل حدثت حقًا؟

❑❑❑❑❑

نشرت (هند جعفر) السطور السابقة على صفحتها بموقع التواصل، فعلَّق (هاني محمـود) عـلى نفـس المنوال، قائلًا:

□ جمال الغيطاني:

ـ تذكرت الآن الضابط الذي مزق كتبي، وألقاني في سجن القلعة، لا يغير مصير رجل كرحلـة، دربـت نفسي على الارتحال داخـلي، فكـبرت وبـدأت مـن درب الطبلاوي، إلى شتى الأماكن.

□ أحمد أمين:

- جاء ابني بكتابه المدرسي، يريد مني أن أشرح لـه درس عن الرحلات، فذهبت إلى شاطئ رأس البر.

□ عباس محمود العقاد:

- إن الـرحلات جمـع رحلـة، وهـي تختلـف عـن الارتحـال، ويمكـن اعتبـار الـرحلات مكمـل موضوعي للإنسان في محاولة فهم نفسه.

□ على الوردي:

- الرحلات سفر، والسفر مكلف للفقراء، ونعـيم للطغاة والوعاظ، ما أسوأ ما يفعله الطغاة، في سبيل ضياع الصعاليك.

□□□□□

جبل الرعب

حسان الحديثي

لم أبتعد يومًا عن مركز مدينة لا أعرفها، ليس من باب الخوف ولكن من باب أن المجهول عدو ابن آدم سيما إذا كنتُ لا أُحسن لغة أهل تلك المدينة وليس لي رفيق منها أستعين به وأتصل من خلاله بالناس من حولي إن استلزم الأمر.

المكان: في مدينة پاردوبيسه Pardubice التشيكية والتي تبعد مئة كيلو متر أو أكثر بقليل إلى الشرق من العاصمة پراغ Prague، ساقتني الأقدار والأرزاق إليها لأتعرف أناس فيهم غرابة؛ فهم يحملون من الجمال ما يشرخ جانب الصبر، ويحملون من الجمود ما تتكسر عليه ثلوج القطب المتجمد، ينعمون بطبيعة ربانية ملونة كأن أرضهم موشحة بقوس قزح لكن وجوههم ثابتة على حال

واحدة ولون واحد حين تنظر إليها تشعر وكأنك في متحف للشمع، قوم تعـددت في وجـوههم ألـوان الحسن والجمال وغاب عنها ماء الحياة.

❑❑❑❑❑

الزمان: عام 2008 أواخر شهر مايو حـين يعتـدل جو أوروبـا الشـــرقية وتشـــرق الشـمس وتنتهـي مواسم الأمطار والبرد.

توقف بنا القطار القادم مـن بـراغ في محطـة المدينـة القديمة وكانت السيدة "إيلينا" بانتظاري والتـي لم ألتقِ بها من قبل، حيث كانت اتصـالاتنا بالرسـائل الإلكترونيـة والمكالمـات الهاتفيـة وقـد تعرفتنـي ببساطة، فأنا الوجه الغريب الوحيد من بين العـدد القليل النازل من عربات القطار، كانت إيلينا تجيـد

أربع لغات؛ الإنجليزية والإيطالية والروسية بالإضافها إلى لغتها التشيكية ولديها خبرة واسعة في إدارة الأعمال وخبيرة بالسياحة.

أخذتني بسيارتها الصغيرة إلى نَزْلٍ بسيط قريب من مركز المدينة ولكنه نزل جميل ونظيف ومرتب ليكون محل إقامتي في هذه المدينة الصغيرة.

أتممت جُلَّ أعمالي بمساعدتها ومعرفتها بأمور مدينتها غير أن عطلة نهاية الأسبوع أجَّلت مغادرتي المدينة إلى پراغ، فاقترحتْ على رفيقتي أن نذهب لزيارة إحدى الكنائس القديمة في ضواحي المدينة للتعرف على تراثهم وتاريخهم، فرحبت بالفكرة سيما أن الوقت متاح فانطلقتْ بي ضحى يوم الأحد بسيارتها في طريق خارج المدينة ثم

انعطفت منه لتسلك طريقًا زراعيًا حتى انتهى بنا إلى دروب متعرجة بين مساحات هائلة من مزارع الذُرةِ الصفراء، فبلاد التشيك مشهورة بصناعة البيرة من الذرة، ثم فوجئت أننا يجب أن نترك السيارة في موقف مخصص لزوار الكنيسة لنكمل الرحلة مشيًا في غابة تحيط بذلك الجبل الغريب، ثم لنسير مسافة بطريق ضيق ليدخلنا الممشى في تلك الغابة الكثيفة والموحشة؛ لتشابك أشجارها وتداخل فروعها وأغصانها حتى لا تكاد ترى من خلاله ضوء الشمس أو زرقة السماء، ثم لنبدأ الصعود إلى قمة جبل عال تنتصب عليه تلك الكنيسة.

كانت الغيوم السوداء تتجمع فوقنا كأسراب الجراد

حتى حجبت نور الشمس وكانت نسائم رطبة تهب علينا متخللة جذوع الأشجار لتحمل في طياتها طيب روائح الأشجار وعبير لحائها المضمخ بالقدم والذي أحبه كثيرًا، ولكنها كانت تشي بالمطر.

لم أعبأ فأنا بين أيادٍ أمينة بصحبة السيدة إيلينا ابنة المدينة والخبيرة بالسياحة وأمكنتها وأوقات زيارتها؛ مشيت مع مضيفتي باطمئنان قادنا إلى مجهول كأعمى فقد عكازه وأمسك بثوب بصير، سيما حين قابلنا عددًا ليس بقليل من زوار الكنيسة العائدين من أعلى الجبل؛ مما طمأنني أن المكان مأهول. ولكن ذلك لم يجعلني فاقد القلق؛ إذ لاحظت أننا الصاعِدَان الوحيدان إلى الكنيسة والكل نزول، فأوجستُ في نفسي- خيفة لم أشأ أن

أسألها عنها خوفًا من إحراج شرقيتي أمام نفسي وتعرية تماسكي فتهتز بذلك شخصيتي وأفقد اتزاني أمام مضيّفتي التشيكية.

كانت العتمة والوحشة تتطاردان حولنا كأرواح شريرة نافرة من بقايا ضوء يتخلل أوراق الشجر، وكانت روحي مستفزة كظبي نافر لاحت له لمعة أنياب نمر في الأنحاء وكلما صعدنا الجبل أكثر ازداد الإحساس أكثر بين ازدياد عتمة الأشجار حولنا وكثافة الغيوم من فوقنا وقلق الوحشة أسفل كبدي الذي تنهال عليه ضربات قلبي كمطرقة حداد يسابق حمرة الحديد من تعب الصعود.

استنفذت صبري على السكوت فاندفعت قائلًا:

- هل أنت متأكدة أننا في الوقت المناسب هنا؟ هل

هذا هو الممر الوحيد لبلوغ قمة الجبل؟ ربما يجدر بنا أن نعود إلى السيارة وأعدنا الزيارة في وقت لاحق!

كنت ألقي أسئلتي على إيلينا، غير أن أنفاسها السريعة والمتتابعة من التعب لا تؤهلها للإجابة على أسئلتي، فتبتسم لي ابتسامة سريعة ثم تتبعها بقولها "Don't worry" لتعاود إلى ممارسة الشهيق والزفير السريعين.

قلت لها:

- لم يعد هناك نازلون من القمة يا عزيزتي! ولعل المكان فارغ الآن؟

فأجابتني مرة أخرى وباقتضاب "Don't

worry" وعادت إلى ممارسة الشهيق والزفير كجندي فار من الحرب والموت.

قلت لنفسي حتى لو قلقتُ الآن فلا يعني ذلك شيئًا وقد قطعنا ثلثي الطريق وأصبحنا أقرب للكنيسة من السيارة، وما إن أكملت محاكاة نفسي حتى وجدتُني أمام طود عظيم من بناء هندسي هائل الارتفاع واسع الفضاءات حادِّ الزوايا مدبب النهايات تشعر أمامه بجبروت الإنسان الذي قام بتصميمه وبنائه ونقل مواده وأشيائه إلى هذا المكان النائي؛ حيث لا قرية من حوله ولا حياة لبشر قربه إلا عمدان الأشجار المتقاربة التي لا يفتأ أن يطيف بها النظر قليلًا ليعود متعبًا كسيرًا من النفاذ منها إلى خارجها لزحمتها وكثافتها.

لم أكد أتفحص المبنى من الخارج حتى اشتدَّ الهـواء وهطل المطر وتعكر الجو وأصـبح للـريح مـن بـين الأشجار أزيز كأزيز محرك الطائرة سـاعة مغادرتهـا لمدرج المطـار، ومـا هـي إلا لحظـات حتـى لم نعـد قادرين على الوقوف خارج تلك الكنيسة العجيبـة فدلفنا داخلها لنجد أنفسنا الزائرين الوحيدين فيها وقد غادرها الجميع بسبب أنباء عـن إعصـار قـادم ولم يبق بها سوى حارسها الذي بـدا مسـتغربًا مـن وصولنا في هذا الوقت.

تكلم مع إيلينا غير قليل بلغتهما التي لا أحسن منها غير التحية غـير أننـي فهمـت مـن حركـة الجسـد لكليهما أننا في ورطـة ومـا عـليَّ إلا انتظـار الترجمـة للوقوف على حجم الورطة التي نحن فيها.

سكت الاثنان للحظة ثم التفتتْ إليّ دليلتي لتقول لي أن الكنيسة أغلقت قبل ساعة بسبب الجو ولا نستطيع الدخول، ليس ذلك فحسب بل علينا العودة على الفور قبل أن تشتد العاصفة.

لم يكن أمامنا متسع من الوقت للتفكير فنحن في سباق مع العاصفة، فخرجت إيلينا من الكنيسة وأنا خلفها لا أدري إلى أين تقودني خطاي فسألتها:

- هل علينا أن نمشي كل الطريق الذي سلكناه في مجيئنا؟

قالت:

- لا، هناك طريق مختصرة تنحدر بنا من أعلى الجبل إلى الهاوية بدقائق، أعرفه جيدًا، فقد كان أبي يسلكه

بنا عند العودة من الكنيسة أيام الآحاد بعد انتهاء الصلاة حين كنت صغيرة.

يا إلهي! كان أبوها يسلكه عندما كانت صغيرة! هذه السيدة تتكلم عن طريق لم تسلكه منذ ما يزيد عن ثلاثين عامًا!

ثم قالت:

- Don't worry، حسان فقط ثق بي واتبعني.

في الحقيقة لم يعد شيء يشعرني بالقلق أكثر من عبارة "Don't worry" تلك، فتبعتها فلا خيار لدي.

انعطفت يمينًا فانعطفت وراءها ثم بدأنا نتخلل أشجار تلك الغابة الموحشة والسماء تصب علينا

الماء صبًا وحفيف الأشجار يصم الآذان وهي تهوي أمامي على سفح الجبل نزولًا وأنا خلفها كأننا المعزى تتهاوى خلف عتودها بسرعة، فنصدم بغصن هنا وفرع هناك سابحين بماء المطر كعصفورين وقعا في بركة ماء منزلقين على طين ألانَه ماء المطر نشيح بوجهينا من أن نرتطم بجذع أو فرع شجرة.

انقطع عقلي عن التفكير في أي شي سوى التركيز على موضع قدمي الذي يلي رفعها في جزء من الثانية وأن أي ارتباك أو خطأ ربما يجعلني أنزلق وأتدحرج إلى هاوية مجهولة فتدق عنقي وتتكسر أضلاعي على صلب عرق من عروق الغابة أو على جلمود صخرة حطني عليها السيل من علٍ.

دام هذا الحال لأكثر من ربع ساعة ولا بارقة أمـل، فما زلنا في هذه البقعة المظلمة الموحشة الرطبـة ومـا تزال الأمطار فوقنا كالشلالات المنحدرة من أعـلى الصفا، وما تزال الغيوم تدلق علينا ما يفـيض عـن حاجتها من ماء ونحن نلهث في المجهـول سـاكتَين إلا من وقع خطانا وأنفاسـنا المتعاقبـة. لا أسـتطيع سؤالها عن شيء أعلم مسبقًا أنها لا تملـك الإجابـة عليه فأقول لنفسي:

- I'm so worry يا صديقتي لو تعلمين.

بلغ بنا التعب مبلغه فتوقفتْ قليلا لتلتقط أنفاسـها ثم نظرتْ إلى بعين منكسرة بـاد فيهـا الأسـف ثـم قالت:

- I'm Sorry ، حسان.

وسكتت، فأجبتها على الفور:

- "Sorry after worry"! يا للروعة!

ثم لم أستطع كتمان ابتسامتي في ذلك الموقف المحبط. نظرت إليها وإلى نفسي وقد نقعنا بالماء والطين فتطورت الابتسامة إلى ضحك ثم توالت الضحكات مني كالسكران وهي تعلو في تلك الغابة وترتفع محتجةً على ما صرنا إليه وصاحبتي لا تدري ما اعتراني حين رأتني بتلك الحال.

لا أستطيع المشي أكثر من التعب والإجهاد كما لا أستطيع إيقاف ضحكاتي التي شقت العتمة وبدأت الوحشة التي لفتنا من كل جانب.

أحسستُ بالخجل منها فسكتُّ قبل أن أقول لها

"دعيني أتصرف الآن يا صديقتي، فقد أخذتِ وقتك بالقيادة" وهي ساكتة بعد أن أدركت سوء إدارتها لمجريات هذه الرحلة الفاشلة.

أخرجتْ من حقيبتها بضعة مناديل ورقية وأعطتني إياها وأشارت إلى جروح وخدوش في ساعدي ورقبتي فمسحت بعض الدماء المختلطة بماء المطر ثم أعدت تنظيم عقلي وتذكرت أن تليفوني الـBlackBerry الجديد فيه خاصية الخرائط GPS لتحديد المواقع وكانت هذه الخاصية جديدة وغير متوفرة إلا بأجهزة تليفونات حديثة، منها جهازي.

غير أنني لم أستطع التقاط الشبكة لبعدنا عن المدينة، غيرت مكاني عدة مرات حتى استطعت أن

ألتقط إشارة ضعيفة كأنفاس مودع للحياة. فتحت تطبيق الخرائط وعينت الاتجاه الصحيح للطريق المؤدي إلى المدينة والذي احتاج نصف ساعة مشيًا لبلوغه.

لملمت أشتاتي وأعدت جهازي لجيبي الذي يقطر ماءً، وقلتُ لصاحبتي " Don't worry الآن واتبعيني"، فمشت خلفي بلا اعتراض فأنا رجل يثق بالتكنولوجيا فهي لا تكذب ولا مسوغ عندها للخديعة، كما أنها تحفظ العناوين والطرقات والنواحي والوجهات بأمانة ودون تغيير.

ما إن بدأنا السير حتى توقف المطر وهدأت الرياح وبدأت الغيوم بالتفكك كجمع من الناس انتشروا بعد حفل عرس، ومما زاد من ارتياحي رؤيتي لبريق

أجراس الماء المتبقية على وريقات الأشجار والـذي أعادنا للشـعور بالألفـة بعـد أن نسـينا أننـا في عـز الظهيرة، وإن شعرنا للتو أننا في بهمـة ليـل مطبـق، وما هي إلا لحظات حتى سمعت أصوات الطيـور وقد خرجتْ من أوكارهـا معلنـة انتهـاء العاصـفة فهي أدرى بشعابها من إنسيين غريبين غبيين في هذا المكان في هذا الوقت وكـأني بلسـان حـال الطيـور والسناجب من حولنا يقول "ما أغباكم أيها البشـر وأنتم تخفون عقولكم وراء عجرفتكم الفارغة!".

نصف ساعة بالضبط من السـير حـين صرنـا عـلى جادة طريق مبلط خال مـن المخلوقـات ولكـن لا بأس مشينا باتجاه موقف السيارات الذي تركنا فيـه السيارة ولكن بلا أدنى فكرة عن بعده من موقعنا،

لا خيار لدينا غير مواصلة السير. دقائق ولاح من خلفنا جرار زراعي توقف مستغربًا حين رآنا فتوقف وتحدث مع إيلينا بنبرة جافة فعلمت أنه ينهال علينا بالشتائم والمسبات لسيرنا في الغابة بهذا الجو وتركنا مبنى الكنيسة قبل انتهاء العاصفة.

كانت إيلينا تريد أن تترجم لي ما يقول فقلت لها لا أحتاج أية ترجمة فالحال ينبئ عن القول. ثم أشار لنا أن اصعدوا فصعدنا معه ومنظرنا ونحن على كتفي ذلك الجرار ليس أحسن حالًا من مسرحية كوميدية سمجة ملّها الجمهور فتركوها تتعثر بصدى فضاء القاعة وتهكم المقاعد الفارغة.

بعد بضع دقائق كنا نقف بجانب السيارة نقطر ماءً وطينًا غير أننا لم نأبه بهما فركبنا السيارة وعدنا

أدراجنا كذئبين قافلين من معركة شرسة مع كلاب المدينة، عائدين من أسوأ رحلة تمر بسائح غريب ودليلة حزينة.

سكتّ قليلا وقلت لها "Don’t worry، لنذهب ونغير حالنا ولنحتفل بعودتنا سالمَين من جبل الرعب" الذي بت أسميه بهذا الاسم من تلك اللحظة.

في المساء اجتمعنا مرة أخرى في مطعم إيطالي يحسن عمل البيتزا المقرمشة واللنغويني بالصلصة البيضاء اللذيذة، كان ذلك على أنغام موسيقى تشيكية لا أفهم منها سوى بعض الجمل التي يتخللها الربع تون الشرقي بين ضجة من أناس لم أرَ في وجوههم إلا ما رأيته آنفًا من جمود ممزوج بحسن وجمال.

بعد يومين، كنت أقف على منصة محطة پاردوبيسه منتظرًا القطار القادم من الشرق باتجاه العاصمة براغ وتقف بجانبي إيلينا التي صممت أن توصلني إلى باب القطار، ربما تكفيرًا منها على اصطحابي برحلة جبل الرعب.

ودعتها وركبت القطار وتركت المدينة التي ترددت عليها بعد تلك الزيارة لسبعة أعوام غير إني لم أسمع من إيلينا عبارة "Don't worry" حتى اليوم.

❑❑❑❑❑

رحلة ابن بطوطة

وسام الدين محمد عبده

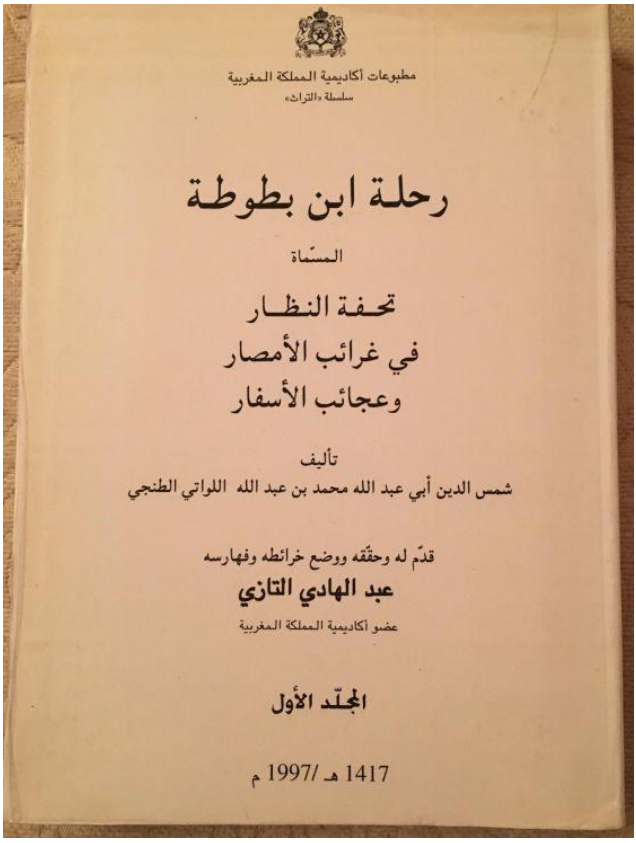

كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) أو (رحلة ابن بطوطة).

خصصت هذا الشهر بعرض تراث الرحالة المسلمين؛ وإذا كان حديث هذا الشهر هو الرحالة المسلمين فإنه من الواجب البدء بأميرهم (الشيخ الفقيه، السائح الثقة الصدوق، جوال الأرض، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة، المعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين)، كما قدمه من دون كتابه.

و"ابن بطوطة" صاحب أشهر رحلة في التاريخ الإسلامي وربما في تاريخ كل البشر، وكتابه الذي نقدمه اليوم (تحفة النظار في غرائب الأمصار

وعجائب الأسفار) هو الكتاب الذي حكى فيه تفاصيل رحلاته التي زار فيها معظم أرجاء العالم المعمور والمتحضر في زمانه؛ والكتاب نفسه لتأليفه قصة شيقة.

إذ فقد "ابن بطوطة" مذكراته أثناء ترحاله، فلما حط عصا الترحال في بلاط بني مرين في (فاس)، بهرت قصصه ومعارفه بالجغرافيا والشعوب وثقافاتها السلطان وحاشيته، فأمر السلطان بترتيب كاتب لابن بطوطة ليملي على هذا الكاتب رحلاته، فكان أن رُتِبَ له الفقيه (محمد بن جزي الكلبي)، الذي سجل ما أملى (ابن بطوطة) ولم يتدخل في ما أملاه (ابن بطوطة) إلا بقدر استبدال بعض الألفاظ الصعبة وتقييد المشكل من الأعلام وشرح

الأسماء الأعجمية، على النحو الذي ذكره (ابن جزي) في مقدمة الكتاب. الكتاب يسرد مشاهدات "ابن بطوطة" في تلك البلاد التي زارها، كما ينقل بعض الأخبار عن تاريخ تلك البلاد وشعوبها وثقافتهم، ويحكي عن المشاهير الذين التقاهم في رحلته من الأمراء والعلماء وغيرهم، وتلك المشاهدات غنية بالتفاصيل الممتعة والمدهشة، حتى أنه يتناول في تلك التفاصيل بعض وصفات المطبخ في تلك البلدان التي زارها.

الرحلات التي قام بها "ابن بطوطة" يمكن أن تقسم إلى ثلاث رحلات كبرى، على النحو الآتي:

الرحلة الأولى، وبدأها ابن بطوطة من مدينته طنجة، في رجب من عام 725 من الهجرة الشريفة،

وغرضه فيها أداء فريضة الحج، وكان يومئذ قد جاوز الثانية والعشرين من عمره؛ زار ابن بطوطة في هذه الرحلة تونس ومصر والشام والحجاز والعراق وإيران واليمن وسواحل شرق أفريقيا، وقد استمرت هذه الرحلة ما بين سبع وثمان سنوات. وما استنتجه من مشاهدات هو اضطراب قلب العالم الإسلامي الذي كان يحكم القسم الأكبر منه الناصر بن قلاوون سلطان المماليك البحرية صاحب الحكم المضطرب، في مقابل حالة الاستقرار الاجتماعي والانتعاش الاقتصادي للشعوب الإسلامية ساكنة سواحل شرق أفريقيا.

الرحلة الثانية بدأت بسعي ابن بطوطة لمنصب عرض في بلاط السلطان الهندي (تغلق) فخرج من

مكة، التي كان يقيم فيها في هذا الوقت، متجهًا إلى بلاد الأناضول للحاق بالقوافل المتجهة إلى الهند، ولكنه يتجول بين "القرم" و"استراخان" و"بلاد البلغار" – (وهي بلاد تقع على نهر الفولجا في روسيا اليوم) ولا علاقة لها بالبلد المعروف اليوم "بلغاريا"– قبل أن يرافق بعثة مرافقة لزوجة سلطان الأوزبك بنت إمبراطور بيزنطة إلى مدينة "القسطنطينية".

ثم انضم إلى القوافل المتجه إلى وسط آسيا، حيث زار المدن العظيمة في هذا الإقليم، "بخارى" و"سمرقند"، وعبر أفغانستان يصل إلى الهند، حيث يعينه سلطان دلهي قاضيًا؛ ولكن السياسة عمل خطر، وسرعان ما يتورط ابن بطوطة في هذا

العمل، ويجد نفسه مهددًا، مما يدفعه إلى قبول عرض من السلطان أن يصبح سفيره في بلاد الصين، ولعل ابن بطوطة قد مل من الاستقرار فقبل هذا العرض الذي يرضي طموحه بالسفر والسياحة؛ فانطلق في رحلته إلى الصين، ولكن قبل أن يبلغ الصين كان قد زار جزر المالديف ومواطن مختلفة من أرخبيلات أندونيسيا وماليزيا والفلبين.

في النهاية، يقرر ابن بطوطة العودة إلى بلاده، فيمر من جديد في قلب العالم الإسلامي، ويسجل مشاهداته حول انتشار الطاعون الأسود في الشام، ويقوم بالحج مرة أخرى، قبل أن يتجه إلى المغرب.

هذه الرحلة هي الأطول بين رحلاته، إذ استمرت نحو خمس عشرة سنة، وقد عاين فيها أماكن لم يحلم

بزيارتها مثقف مسلم في ذلك الزمان، وشاهد الصحوة الحضارية في وسط آسيا بعد انحصار الإعصار المغولي الذي عصف بهذه البلاد، كما وثق انتشار الإسلام في أرخبيلات جنوب شرق آسيا واهتداء كثير من شعوب هذه المناطق إلى الإسلام رغبة وطوعًا، ويتحدث باندهاش عن عادات الناس في هذه البلاد، وبإعجاب عن حرفهم وصناعاتهم وعمارتهم.

الرحلة الثالثة، بدأت من مدينته (طنجة) وهذه المرة كان داعيه إلى الرحلة، الجهاد ضد القشتاليين الذين كانوا يستعدون لغزو المسلمين، ولكن بمجرد وصوله إلى الأندلس كان الطاعون الأسود قد عصف بالقشتاليين وقتل ملكهم فذهب تهديدهم،

فاغتنم ابن بطوطة الفرصة وراح يتجول بين مدن الأندلس، قبل أن يقفل راجعًا إلى المغرب، ويتجول بين مدنه التي ضربها الطاعون الأسود حتى أقفرت كبرى حواضرها "مراكش" من السكان. ومن المغرب ينطلق نحو الجنوب إلى السودان الغربي (وهي بلاد مالي اليوم) حيث زار "تومبكتو" أعظم مدن هذه البلاد وأكثرها سكانًا، وفي النهاية يعود إلى بلاده.

استغرقت هذه الرحلة نحو خمس سنوات، وفي مشاهداته في هذه الرحلة ينقل لنا ابن بطوطة تصوره عن جغرافيا هذه البلاد وبيئتها، فتجده يصف نهرًا عظيمًا في السودان الغربي وينعته بالنيل، وهو في الأغلب نهر النيجر، ويصف حيوانات هذه

البلاد التي كانت مجهولة عند المسلمين وعند الأوروبيين في نفس الوقت، كما أن وصفه لواحات الصحراء وحركة القوافل التجارية يظهر لنا مجتمعًا حيًا متفاعلًا على عكس ما يعتقد البعض.

ظل كتاب (تحفة النظار) حبيس خزان الكتب، حتى عثر على بعض نسخة الكاملة مستشرق فرنسي في مدينة "قسنطينة" الجزائرية في منتصف القرن التاسع عشر، ومن ثم قام بنشرها فتعرف العالم عليها، وقد عثر بعد ذلك على نسخ في أماكن أخرى من العالم الإسلامي ليطبع نص الكتاب أكثر من مرة، بعض هذه الطبعات مجرد صورة رديئة لواحدة من مخطوطات الكتاب، وبعضها الآخر محقق ومزود بالفهارس والتوضيحات، ولا

أنصح بقراءة الكتاب من طبعة غير محققة تحقيقًا وافيًا، وأفضل الطبعات المحققة في نظري تلك التي أصدرتها دار إحياء العلوم البيروتية وحققها الشيخ محمد العريان من علماء لبنان. وهناك طبعة رقمية مجانية صادرة عن هنداوي، وهي طبعة سيئة لم يتكلف الناشر تصحيحها أو فهرستها أو حتى إخراجها.

تقبلوا مودتي.

❑❑❑❑❑

تنويه وشكر

في نهاية عام 2019م، قررنا العودة إلى تنقيح جميع الأعداد السابقة من (ومضات)، قبل إعادة نشرها في ثوب جديد، سواء من الناحية اللغوية أو التحريرية (حذف وإضافة مواضيع) أو التنسيق الداخلي.

استغرقت هذه العملية نحو سبعة أشهر (اضطررنا خلالها –آسفين– إلى التوقف عن إصدار أعداد جديدة) نظرًا لعدم توفر مصححين لغويين متطوعين خلال تلك الفترة الطويلة، قررنا تولى تلك المهمة بأنفسنا، فنعتذر عن أي شوائب

أو أخطاء في هذا الصدد، حيث بذلنا ما في وسعنا، وكلما استغلق علينا جزئية ما، كنا نسارع باستشارة اثنين من المتخصصين الأعزاء، تحملا –بسعة صدر– سيل أسئلتنا المتتالية التي استمرت على مدار أسابيع، فلا توجد كلمات تكفي للتعبير عن امتنانا لهما:

هبة النجار

هشام فايز

على الجانب الآخر، كنا نحتاج –باستمرار– إلى إجراء تعديلات على الأغلفة القديمة، أو تصميم أغلفة جديدة. فندين بالفضل –في هذا الجانب– إلى المصممة المتطوعة:

أسماء أيمن

لن يتخيل أحد كم المجهود الذي بذلته أ. أسماء، فضلًا عن سعة صدرها تجاه التعديلات الكثيرة، ليس فيما يخص الأغلفة فقط، فحتى التصميمات الإعلانية –على غرار الموجود في صفحة (85)– أيضًا من تنفيذها.

المحرر

❑❑❑❑❑

■ من إصدارات (لأبعد مدى) ■

تنويه: **أكثر من نصف الإصدارات التالية متاح للتحميل المجاني على موقع/ مدونة المبادرة.**

❑ (**الأمسية المظلمة**): رواية رعب وخيال علمي، تتكـون من قصص منفصلة/ متصلة، بقلم (ياسـين أحمـد، محمـود عبد الحليم، داليـا مصطفى صـلاح، مصطفى جميل)، صـدرت عن دار الرسـم بالكلمات للنشر والتوزيع- يناير 2014م.

❑ (**قربان**): رواية خيال علمي، بقلميّ ياسين أحمد سعيد وإبراهيم السعيد، صدرت عن دار (بصمة) للنشر والتوزيع- يناير 2017م.

❑ (**خط الثقافة المستقلة: القاهرة- أسوان**): رَصْد صحفي لمشروعات ثقافية تنتمي إلى القاهرة الكبرى

والصعيد (نموذج واحد من كل محافظة)، يليها تفاصيل عن كيفية تأسيس وإدارة مبادرات مشابهة، صدر عن مبادرة (لأبعد مدى)- سبتمبر 2017م.

❑ (**نبوءات الخيال العلمي**): عن السباق الممتد عبر التاريخ ما بين (العلم من ناحية، والأدب/ الفن من الناحية الأخرى)، صدر عن دار (فانتازيون) للنشر والتوزيع- يناير 2018م.

❑ (**من وحي رحلة**): عدة مؤلفين، يتحدث كل منهم في فصل مستقل عن رحلة ألهمته بنص أدبي طويل، صدر عن دار (فانتازيون) للنشر والتوزيع- يناير 2019م.

❑ (**أفلام في قصص**): قصص قصيرة مترجمة، مرفق بكل واحدة: مقال يتطرق إلى فيلم سينمائي

مستوحى عنها، صدرت عن دار العربي للنشر والتوزيع- يناير 2019م.

❑ (**أفلام غرفة**): مقالات عن 16 فيلمًا تدور معظم أحداثهن بين أربعة جدران، صدرت عن مبادرة (لأبعد مدى)- مارس 2019م.

❑ (**حوارات لأبعد**): لقاءات صحفية مع حوالي 25 مؤلفًا مصريًا وعربيًا في مجالات (الخيال العلمي، الفانتازيا، الرعب)، صدرت عن مبادرة (لأبعد مدى)- نوفمبر 2019م.

❑ (**خياليون جدد**): رصد صحفي للجيل الحالي من مؤلفي (الخيال العلمي، الفانتازيا، الرعب)، صدر عن مبادرة (لأبعد مدى)- ديسمبر 2019م.

❑❑❑❑❑